النقد الروائي الجزائري المعاصر

أ.بن عطوش عتاوية

جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس

الملخص :

كثر الحديث عن أزمة النقد الأدبي عامة والروائي خاصة وإيمانا منا بالعلاقة التكاملية بين النقد والعمل الأدبي ، تناولنا في بحثنا مواكبة النقد الروائي الجزائري المعاصر للإنتاج الضخم للأعمال الروائية وسعي الأقلام النقدية البارزة خدمة الحركة الإبداعية الروائية بالجزائر فتساءلنا عن حال النقد الروائي الجزائري المعاصر ، هل حدث تغيير بين أولى خطواته وما وصل اليه اليوم من انفتاح على مناهج عالمية معاصرة ؟ فكانت الكلمة الفاصلة لآراء عمالقة فن النقد الجزائري ، و الأمل كان في ميلاد جيل جديد ، جيل من النقاد يسعى إلى تطوير الحركة النقدية ونجاح أي عمل أدبي كيفما كان جنسه، متوقف على موضوعية الناقد وتقبل الروائي الرأي المخالف لأن هدفهما واحد في خلق إبداع راق.

الكلمات المفتاحية:

النقد الروائي، واقع النقد الروائي

Résumé:

beaucoup d 'encre a coulé au sujet de la crise que connait la critique littéraire ;et en particulier romancière .Etant convaincus de la relation complémentarité entre la critique et la production littéraire, nous avons pris pour thème de recherche, la critique romancier algérienne contemporaine qui rythme avec l 'énorme production romancier. cette même critique qui vise, grâce à d'éminents critique qui sont au service du mouvement créatif romancier en Algérie. Ainsi nous nous somme posés la question sur l'état de la critique du roman algérien contemporain : Est-ce que cette critique a connu des changements par rapporté ses débuts ; et a- crise que connait la critique littéraire ;et en particulier romancière .Etant convaincus de la relation complémentarité entre la critique et la production littéraire, nous avons pris pour thème de recherche, la critique romancier algérienne contemporaine qui rythme avec l 'énorme production romancier. cette même critique qui vise, grâce à d'éminents critique qui sont au service du mouvement créatif romancier en Algérie. Ainsi nous nous somme posés la question sur l'état de la critique du roman algérien contemporain : Est-ce que cette critique a connu des changements par rapporté ses débuts t-connue et actuellement une influence des méthodes contemporaines universelles ? le dernier mot est-il revenu aux géants de l'art de la critique algérienne. L'espoir réside dans la naissance d'une nouvelle génération de la critique qui vise à améliorer le mouvement créatif.la réussite de toute production littéraire est liée à l 'objectivité du critique et l 'acceptation du romancier du point de vue contraire. Puisque romancier et critique ce rencontrent dans le fais que tous deux ont le même but qui est la création littéraire d'un niveau supérieur.

Mots-clés :
critique ,méthodes , production littéraire, objectivité, roman, nouvelle génération

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الأنسب قبل البدء في الحديث عن واقع النقد الروائي الجزائري المعاصر أن نحدد مفهوما لكلمة "نقد" وسواء ذهبنا إلى ما ذهب إليه جل الباحثين وهم يرجعون كلمة "نقد" إلى «نقد الدراهم وإخراج الزيف منها، فهذا المعنى اللغوي الأول يشير إلى أن المراد بالنقد التمييز بين الجيد والرديء من الدراهم والدنانير وهذا يكون عن خبرة وفهم وموازنة ثم حكم سديد»[1] أو عرجنا إلى معاني هذه اللفظة التي تعني «الخدش» أو «الشق» ويقال «نقد أرنبة أنفه» أي خدشها كذلك نقول « نقد الطائر الفخ ينقده بمنقاره أي ينقره ، والمنقاد منقاره »[2] و«نقدته الحية»[3] أي لدغته وكلها معان حسية.

أما من الناحية النفسية تحديد مفهومها نرجعه إلى نقد الناس بعضهم بعض «إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك»[4]بمعنى إن عبتهم عابوك وهو خدش وتجريح للنفس، ويبقى المعنى الأول هو الأصلح فيه تفسير وتحليل وتمييز ثم حكم. وبتطرقنا إلى نقد الرواية فأننا سنغوص في مجال النقد الأدبي «الذي يستهدف الكشف عن نص أدبي أو نصوص أدبية محددة عما هو خاص كشفا يغلب عليه الطابع التقييمي والتفسيري في إطار زمني محدد»[5] وكل نقد أساس خطواته الأولى الذوق الذي يعتبر القراءة الأولى لأي نص أدبي ثم تليها قراءات أخرى من تفسير وتحليل وموازنة وحكم.

وتعتبر علاقة الأدب بالنقد علاقة تكاملية، العمل الأدبي الجيد يلهم الناقد فيصبح مبدعا في نقده خادما بلغته المبدعة النص الأدبي كيفما كان جنسه، فالنقد وظيفته الأساسية إظهار مواطن القوة والضعف والحسن والقبح في النص والناقد هو ذاك الملهم والمرشد الذي يضيء للقارئ العمل الأدبي ويسهل له مهمة تذوق هذا الفن ولطالما ساهم هذا النقد في اكتشاف جماليات الرواية التي تمثل أعلى درجات الإبداع بمنحها المتعة الذوقية للمتلقي الذي يشعر من خلالها بجمالية ومثالية هذا العالم فكيف هو واقع النقد الروائي الجزائري المعاصر وهل وصل إلى أعلى درجات تألقه سواء على المستوى العربي أو العالمي؟

إن الساحة الأدبية أصبحت ولاشك تشهد تراكما كميا وكيفيا وتنوعا تيميا للرواية الجزائرية ولقد حازت على نقلة نوعية بفضل التحولات التي طرأت عليها على مستوى الشكل والمضمون وازدادت قوة من خلال تلك الدراسات النقدية التي أصبحت تعج بها الساحة الأدبية هذه التحولات «أو بالأحرى هذا التغيير والتطور الملحوظ على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسار الحركة النقدية إنما كان حدوثه نتيجة لحملة من المتغيرات وبعض من الحريات التي ساهمت في ملامسة بعض المواضيع والتي كانت تعد في زمن ليس ببعيد من المسكوت عنه»[6]

ورغم هذا التطور تبقى الحركة الأدبية تعاني من ضعف في المتابعة النقدية وعدم القدرة على مواكبة العصر وتحولاته السريعة، لكن ليس بالأمر الصعب ولا المستحيل أن يولد نقد حقيقي يواكب هذا الزخم من الإنتاج الأدبي الحديث والمعاصر بصفة عامة والروائي بصفة خاصة ويمكن تحقيق ذلك لأن «الفترة التي أنجبت جيلا من الأدباء يكتبون باللغة العربية لكفيلة بأن تنجب جيلا من النقاد أيضا، بغض النظر عن قيمة ما يقدمون، لأن العمل النقدي يتطلب معرفة علمية وفلسفية عميقة كما يتطلب ممارسة منتظمة طويلة»[7]

يرى مخلوف عامر أن الزخم التراكمي في الإنتاج الأدبي يقابله تخلف في الحركة النقدية وسبب هذه المفارقة يرجع إلى الحركة البطيئة للنقد «وعزوف الذين يدرسون الأدب عن النقد مفضلين الكتابة الإبداعية إن شعرا أو نثرا والحظ الأوفر كان للرواية، ويضيف أن التجربة النقدية في الجزائر تبقى بحاجة إلى تطوير رغم وجود بعض النقاد أمثال المرحومين محمد مصايف وعبد الله ركيبي الذين واكبت تجربتهما فترة معينة»[8]، مشيرا إلى وجود أعمال أدبية روائية واكبت الإنتاج العربي والعالمي بحاجة إلى أقلام نقدية تخدم الحركة الإبداعية الروائية بالجزائر وأثنى على جهود بعض الأقلام المميّزة من أمثال الدكتور السعيد بوطاجين و آمنة بلعلى و قلولي بن ساعد وبذكر هؤلاء النقاد الجزائريين نفتح باب التساؤل على مصراعيه لنستفيد من عمق تجاربهم النقدية محاولين معرفة ما وصل إليه حال النقد الجزائري وهل هو في تطور مستمر أم في تخلف وتراجع؟ بداية يرى "قلولي بن ساعد" أن النقد الجزائري اعتمد في أول خطواته «على المناهج السياقية الخارج نصية التاريخية والسيسيولوجية وهي مرحلة كان لابد منها في ذلك الزمن بالنظر لحداثة تجربة الكتابة النقدية في الجزائر آنذاك وفي هذه السنوات الأخيرة بدأت الممارسة النقدية تعرف بعض التحول وإن لم يكن عميقا وكافيا نحو استثمار المنتج مما فجرته العلوم الإنسانية في الغرب وهي التي وجد فيها النقاد الجزائريون مطية لحمل النقد الجديد وذلك بالانفتاح على بعض المناهج النسقية من أسلوبية وسيميائية وبنيوية وغيرها»[9].

هذا الانفتاح جاء في مرحلة دعت فيها الضرورة إلى استخدام أدوات راقية في التعامل مع النصوص وأبعدت الأدب عن كل ما هو سطحي وواقعي فالبنيوية كاتجاه قامت بعملية تفكيك للنص لمعرفة بنيته ثم إعادة تركيبه لكن ليس بعيدا عن اللغة «ومهما كانت تفرعاته إنما هو اتجاه يجعل عملتي التحليل والتركيب غاية في ذاتها ومهما كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بارعا في إنتاج المصطلحات وفي الاستفادة من مختلف العلوم، إلا أنه يظل قاصرا على أن يحيط بجوهر العملية الإبداعية»[10].

أما المرحلة الأخيرة كانت للنقد العلاماتي أو السيميائي تمثلت في أعمال –رشيد بن مالك– وعبد الحميد بورايو– والسعيد بوطاجين وتراجع النقد بعد عبد الله ركيبي ومحمد مصايف وكان للصحافة الأدبية الدور الكبير في هذا التراجع فتولد عن ذلك ظهور لون جديد من النقد وهو (النقد الجامعي) «الذي يستخف بالنقد الصحفي دون أن يقدم البديل المقبول، لأن أصحابه – في عمومهم – هم باحثون وأساتذة جامعيون منزوعو الذائقة الجمالية في كثير من الأحوال ... يلوكون أفكار مجردة ونظريات مثالية، ويستجمعون ركاما من الأقوال الشرقية والغربية وأثقالا من الهوامش والإحالات، وحين يبلغون النصوص الممتعة الخلاقة تغلق دونهم ويسقطون على عتبات أسوارها مثقلين بأسفارهم التي لا تغنيهم شيئا حينها. ويضطرون إلى تعويض "الذوق المنزوع " بممارسات آلية جاهزة يسهل تطبيقها على كل النصوص دون مراعاة للخصوصية النصية أعتقد أن المناهج الوصفية قد عمقت هذا الجرح النقدي في الجسد النصي الجزائري، لأن الناقد الذي لا يتذوق الفارق الجمالي بين النصوص ولا يقوى على المفاضلة بينها، لا يستحق لقب الناقد (بالمفهوم الوظيفي المعياري) ويؤكد يوسف وغليسي أنّ أكبر أهرامات النقد الجزائري قد تهاوت بعد موت من مات واعتزال من اعتزل ولم يبق إلاّ هرم واحد سعى نحو التجديد بكل قوة وتأقلم مع كل الأجيال وكل المناخات إنّه الناقد عبد المالك مرتاض »[11]

إنّ مساهمات بعض النقاد ممن لهم تكوين نقدي معرفي وحداثي يسعون للتعريف بالمنجزات الإبداعية في المجالات والدوريات العربية وبعض الصحف ذات الانتشار الواسع وبعض الكتب التي تصدر من حين لآخر وتبقى هذه المساهمات دون تأثير فعّال مقارنة بالكم الهائل للأعمال الإبداعية عامة والروائية خاصة حتى هؤلاء الأكاديميين ممن لهم دور فعّال في الفضاء النقدي الجزائري لم تتجاوز أعمالهم النقدية أسوار الجامعة الجزائرية، «ويفترض بالنقد الأكاديمي أن يكون منهجيا وعلميا وموضوعيا لكن الملاحظ هو أنه صار يتفنن في الحديث عن المناهج والنظريات النقدية ويغرق في طرح المصطلحات والمفاهيم بعيدا عن المنجز الإبداعي، بمعنى أنه غرق في التنظير وابتعد عن التطبيق ولهذا أسبابه بطبيعة الحال. وأهم الأسباب هو الخلل في المصطحات والمفاهيم لكثرة المنقول إلى العربية من اللغات الأخرى. وضعف الإجراء والمنهج، زيادة عن عدم قراءة الفلسفة لمعرفة الأسس المعرفية والفكرية التي يقوم عليه هذا، المنهج أو ذاك»[12]. إن طغيان النظري على التطبيقي في النقد الأكاديمي لا يخدم الأدب لأنه اجترار لما قدمه الغير دون ولوج جوهر وعمق الأعمال السردية واكتشاف جمالياتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالنقد البناء دوره دراسة الإبداع الروائي بعمق انطلاقا من أولى خطواته وصولا إلى أهم نقاط قوته.

وإذا حاولنا معرفة علاقة النقد بالإبداع من الناحية الأكاديمية نلاحظ «أن النقد والإبداع لا تجمعهما قرابة أكاديمية ما عاد في الدراسات الجامعية التي تحتكم في أغلبها إلى المناهج الوصفية الوافدة إلينا من الغرب وهي على درجة كبيرة من الانضباط والدقة على مستويات المنهجية والمفهومية والمصطلحات. وإذا كانت هذه المقاربات التقنية بآلياتها الراقية التي تعد امتدادا للدرس اللساني وتفرعاته البنيوية، الشكلانية، التداولية، السيميائية، فإنها تظل رغم قيمتها العلمية مقاربات من حيث اهتمامها بغرض تمفضلات الخطاب وتشكيلاته ليس إلا»[13].

ومع استمرار الدراسات والأبحاث الأكاديمية يبقى دور الجامعة في صنع الحدث وهي قادرة على ذلك بنشر الدراسات المنجزة من طرف طلبة يسعون جاهدين لخدمة الأدب الجزائري: شعرا أو نثرا أو مسرحا فاتحة بذلك باب المنافسة بين الطلبة وحتى بين الجامعات فيما بينهم لكن ما يحدث وللأسف أن هذه الدراسات تحتضنها رفوف المكتبات دون التفات أحد إليها ما عدا بعض الطلبة ممن يكلفون بانجاز دراسة ما، والعجلة تدور في نفس الاتجاه في كل سنة دراسية وهذا ما يؤكده النقاد والباحثون.

يرى حبيب مونسي «أن الدرس النقدي لم يؤثر في الرواية، ولم يصنع فيها توجيهات وتيارات، ولا هو غيّر من أفق المبدعين من خلال التقييم والتقويم .. لأن الملاحظ اليوم هو استمرار المبدع في مضماره يسير أماما لا يلوي على شيء وقد سد أذنيه أمام الأصوات الباهتة التي تأتيه من اجتماعات المقاهي والجلسات الخاصة. كما أن الدارس استمر — هو الآخر- خاضعا لصنمية منهج لا يعرف عنه إلا بعض تجلياته الأدبية بجريه هنا وهناك بنفس الطريقة فيكرر نفسه في كل محاولة. حتى غدت كثير من الدراسات تتشابه في عناصرها ولغتها وخططها ويؤكد حبيب مونسي أن النقد الذي لا يقتل ولا يحي هو النقد البارد الفاتر.. هو ذاك الواصف الذي يتدجج بمناهج واصفة أفرزتها الحداثة الغربية. هذا النقد يركن إلى الوصف المحايد الذي يعجز عن التفرقة بين نصين من حيث القيمة الجمالية والفكرية وغدت كل النصوص صالحة لأن تكون موضوعا للدراسة.. فالمناهج الواصفة لا تفسح أمام أصحابها فرص التدبر الفكري في المسائل المطروحة ..ولا يهمها ما يقوله النص..ولماذا يقوله؟ وإنما المهم عندها هو الكيفيات التي يقول بها النص أشياءه .. ومن ثم فليس المهم جديد الفكرة أو فرادتها، أو تميزها وإنما المهم أن تكون قولا قيل بكيفية معينة لأن الدارس لا يجرأ على أن يصدر في شأنها حكما أو أن يبدي فيها رأيا.»[14]

فالمشكلة إذن في الدراسات الجامعية وعدم قدرة الباحث على مناقشة الأفكار وربما عجزه أو خوفه من إبداء الرأي وطرح حقيقة ما يقرأ وعرض نتيجة بحثه بكل صراحة. إنه لا يجرأ أن يصدر حكما أو يبدي رأيا فيسلك أسهل الطرق لإتمام دراسته بعرض الأقاويل دون مناقشتها، فإذا أردنا نقدا بناءا على الطرف الأول (الناقد) عرض الحقيقة كما يراها. وعلى الطرف الثاني (المبدع) تقبل الرأي المحالف أو المخالف فالهدف واحد خدمة النص الروائي فعلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن «الفكر الذي لا يزعج ليس فكرا. فالفكر الذي لا يزعج لا يبني»، ولكن ليس هذا معناه الدخول في حلقة صراع وتصفية حسابات وخلق عداوة بين الناقد وصاحب الإبداع، فإن أردنا الفكر الذي يزعج فهو ذاك الفكر الذي يسعى للنقد البناء والموضوعي بالإشارة إلى نقاط الضعف والهنات والهفوات في النص، علينا احترام النص أولا لأنه جهد واحترام صاحب النص لأنه أراد الاجتهاد والأخذ بيد المبدع ليس معناه أن نكون معه مصيبا أو مخطئا، ولكن إن أصاب نآزره وإن اخطأ لا نحاصره بل نفتح له أبواب النقاش للوصول إلى النجاح الحقيقي. وختاما بحثنا قطرة ماء من بحر عميق ويبقى حال النقد من حال الأدب في الجزائر، والحقيقة أن الأدب رواية أو شعرا أو مسرحا يبشر بالخير ما دامت الساحة النقدية تعج بقراءات وتحليلات للنصوص الإبداعية باختلاف أجناسها وخاصة في مجال الرواية التي أصبحت تشهد تراكما كميا وكيفيا في الساحة الأدبية.

الهوامش والإحالات:

- أحمد شايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1964، ص114.

[2] -ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ،بيروت ، 2003 ، ص335.

[3] -عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، ص12.

[4]-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر ،ج14 2003 ص335.

[5]- مجلة الثقافة، السنة العشرون، العدد 109، يوليو – أغسطس، 1995، وزارة الثقافة الجزائر، ص84.

[6]- محمد بلواني، النقد الأدبي الجزائري واقع وتحولات، الرابط الالكتروني: diwahalarab.com

[7]- ينظر: مخلوف عامر، زخم الإنتاج الأدبي في الجزائر لاتواكبه حركة نقدية، المرجع الالكتروني: www.kawalisse.com

[8]- ينظر: مخلوف عامر، زخم الإنتاج الأدبي في الجزائر لاتواكبه حركة نقدية، المرجع الالكتروني: www.kawalisse.com

[9]- ينظر قلولي بن ساعد ، اسئلة النقد العربي ، الرابط الالكتروني:www.matarmatar. .net

10- ينظر: مخلوف عامر، مراجعات في الأدب الجزائري، منشورات مديرية الثقافة لولاية معسكر، دار الأديب للنشر والتوزيع، دط

11- يوسف وغليسي، النقد الأدبي في الجزائر، الغربال المثقوب، الرابط الالكتروني: www.al-fadjr.com

12- عبد الوهاب بن منصور، أدباء .....، النقد الأكاديمي يغرد خارج نصوصنا.

الرابط الالكتروني:www.annasronline.com

13- سعيد بوطاجين، حاضر النقد، الرابط الالكتروني:

www.djazairess.com

14-حبيب مونسي، النقد الجامعي.. ونقد المقاهي.. أين الخلل ؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com